ما هي حقيقة العبودية عند الإمام المهدي المنتظر (ع)

<"xml encoding="UTF-8?>

السؤال:

قالوا : (من صار عبداً صار ربّاً) ، وقالوا : (العبودية جوهرة كُنهها الرّبوبية) .

فما مدى مطابقة هذين القاعدتين لفكر أهل البيت (عليهم السلام) ؟

وجوهر السؤال : (هل قول القائل : إن الإمام المهدي (عليه السلام) صار عبداً ، وعندما صار عبداً صار ربّاً ، لأن العبودية جوهرة كنهها الربوبية) موافق لمُعتقدات أهل البيت (عليهم السلام) ، أم لا ؟

الجواب:

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : (العُبودية جَوهرة ، كُنهُها الرّبوبية ، فما فُقد من العبودية وُجد في الربوبية ، وما خُفي في الربوبية أُصيب في العبودية [صاحب كتاب مصباح الشريعة ص 536]) .

وصاحب مصباح الشريعة ينقل جمَلاً كثيرة عن الصوفيَّة ، ولعل هذه الجملة منهم ، وعلى فرض أنها صدرت عن الإمام الصادق (عليه السلام) فهي رواية ضعيفة .

وعلى فرض صحَّة سندها يكون معناها الذي لا يتعارض مع أفكار أهل البيت (عليهم السلام) هو كالتالي :

إن العبد إذا التزم بوظائف العبودية لله عزَّ وجلَّ ، وأطاع الله حقَّ الطاعة ، تحصل له مرتبة عظيمة ، ومنزلة كبيرة ، بحيث يكون مصداقاً للحديث القدسي :

(عَبدي أطِعني حتى أجعلك مَثَلي [أو : مِثلي] ، تقُل للشيء كُنْ فيكون) .

بمعنى أنه يفعل ما يشاء ولكنْ بإذن الله وإرادته ، وهذه هو مقام الربوبية ، فلا عجب من نفس أشرقت واستنارت واستضاءت بنور الله أن تتصرَّف في الكون كما تشاء بإذن من الله عزَّ وجلَّ .

وأما العبودية فهي مرتبة عظيمة لا يكاد يتناولها كل أحد ، وحقيقة العبودية هي ما قال الإمام الصادق (عليه السلام) لعنوان البصري حين دخل عليه :

(ليس العلمُ بكِثرة التعلُّم ، إنما هو نور يضعه الله في قلب من يريد أن يَهديه ، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية ، واطلب العلم باستعماله ، واستفهم الله بِفِهمك) .

وعلى هذا يصح أن نقول :

إن الإمام المهدي (عليه السلام) باعتباره عبداً جسَّد حقيقة العبودية ، صارت له القدرة على التصرف في الكون كالقدرة الإلهية ، ولكن القدرة الإليهة مطلقة ، وقدرته (عليه السلام) مشروطة بإذن من الله تعالى وإرادته .

وهذا المعنى لا يتعارض مع فكر أهل البيت (عليهم السلام) ومعتقداتهم ، وإن أُريد غيره بمعنى أنه (عليه السلام) صارَ ربّاً ، وله مقام الربوبية ، فهذا يتعارض مع أفكار أهل البيت (عليهم السلام) .